

خلف الستائر المسدلة

قبل سنوات ، في عام ٢٠١٣ انتهى مشروع بحثنا العلمي الذي يسمى "مشروع هيرگوردن" واستمرت انا في حياتي العملية في مجالات اخرى . لكن مالم يخطر في بالي حينها هو اني لن انهي علاقتي وافكاري ومشاعري حول الوضع المتعلق بهذا البحث حتى بعد انتهائه. هذا الارتباط المستمر الى يومنا هذا يستقطني الى الغوص اكثر فيه للمعرفة على عدة مستويات . حتى علاقتي مع زملائي الباحثين ورئيسة البحث والتي كانت هي نفسها مديرة قسم الطب المهني و البيئي في جامعة لوند استمرت كصداقة وانتجت في خوضنا أعمال اخرى مرتبطة بشكل مباشر أو غير مباشر بما كان أساس لقائنا. بات العامل الأساسي بالنسبة لي والذي يستقطني باستمرار هو وضع العوائل التي اشتركت في البحث وضعها الاجتماعي المتعب. كانت هذه العوائل من اصول غير سويدية والتي اضطرت الى الهجرة إلى السويد بسبب الحروب واضطهادات اخرى في البلد الام.

مازالت هذه العوائل تشاركني ما يدور في حياتهم في لقاءاتنا العفوية السريعة الغير مخطط لها . يحدثوني عنهم وأطفالهم وحالتهم الصحية ووضعهم الاجتماعي وهمومهم وكذلك أفرانهم وإنجازاتهم. فالأطفال الصغار الذين دار البحث عن صحتهم والبيئة الصحية للسكن أصبحوا اليوم شباباً بالغين ومنهم من له عائلته الخاصة به. في الحديث عنهم يوجد للفرح وللحزن مكاناً ، اعتماداً على الوضع الحالي للعائلة. بعض الاطفال كبروا وسعداء في حياتهم، اما البعض الآخر فلم يحالفهم الحظ والظروف. وغيرهم ومن المؤسف جداً ليسوا على قيد الحياة. وهذه الظروف تعود الى طبيعة الحياة لعوائل مهاجرة كثيرة في السويد وخصوصاً من الذين يعيشون او يضطرون للعيش في مناطق تعد شعبية منهكة اقتصادياً ومتعبة اجتماعياً قياساً بالمناطق الاخرى في السويد. تعد منطقة هيرگوردن التي عرف البحث بأسمها معروفة بأشكالياتها وخصوصيتها في السويد. وتقع في المنطقة المعروفة باسم روزنگورد بعد مرور عشر سنوات، سنحت لي فرصة جديدة للكتابة عن هيرگوردن من خلال أطروحة بكلوريوس في دراساتي للعلوم السياسية من ضمن تخصص تعددية المجتمع

من خلال هذه الصفحات القليلة التابعة سوف احاول ان أشارككم قسم من هذه الدراسة التي ترجمتها هنا للعربية لتكون عاملاً لنشر بحث علمي وكذلك والاهم هو موضوع اجتماعي وسياسي مهم عن بعض ما تواجهه العوائل المهاجرة، ليساهم في تفهم الهجرة والعلاقات السياسية من نظريات السلطة في ما بعد الكولونيالية (أو ما بعد الاستعمار). وهي نظريات علمية أساسية في العلوم السياسية التي تساعد المجتمع للتفهم لبعض الظواهر الاجتماعية. ويشير البحث ايضاً إشكاليه عمل المؤسسات وتأثيرها على المجتمع بشكل مباشر أو غير مباشر. وبالرغم من ان احداث هذا البحث تدور على منطقة في السويد ولكن يمكن الاعتماد على ما يثيره البحث والاستفادة منه بصورة عامة في اي مكان في العالم كما في اي بحث علمي آخر. اتمنى للقارئ قراءة مشوقة تصب في خزين جديد لبنك معلوماته.

علاقتي بمنطقة هيرگوردن

في ربيع عام ٢٠١٠، تلقيت مكالمة هاتفية من زميلة سابقة لي كانت تعمل في إحدى رياض الأطفال المفتوحة والتي تسمى "ضوء الشمس"، والتي تقع على مسافة قصيرة من مركز منطقة روزنگود وهيرگوردن. هذه الحضانة هي جزء من مركز رعاية الأطفال الصحي. كانت الحضانة المفتوحة تستقبل الآباء والأمهات الذين لديهم أطفال صغار لم يحصلوا بعد على مكان في رياض الأطفال الذي يتبع للتربية والتعليم. في أغلب الأحيان كانت الأمهات مع أطفالهن يزرن المكان. وكان غرض الأمهات من الزيارة، غير عن التواصل بالرعاية الصحية هو توسيع الشبكة الاجتماعية وتوطيد العلاقات بالمجتمع الجديد.

كنت أعرف هذا النشاط جيداً حيث عملت سابقاً بالإرشاد الصحي في منطقة إقليم سكونة (جنوب السويد) كمرشدة صحية كانت لي محاضرات للوالدين يدور قسم منها عن نظام الرعاية الصحية السويدي وحقوق المواطنين في الرعاية الصحية وغيرها من المواضيع. وعملت أيضاً في ما يسمى بمدرسة الربو الصحية في قسم الربو وأمراض الجهاز التنفسي والتي كانت تسعى لشرح وتفهم أسباب هذه الأمراض وكيفية معالجتها. وكان سبب إنشاء مدرسة الربو هو أن منطقة روزنگورد سجلت أعلى الأرقام من حيث مشاكل الجهاز التنفسي للأطفال مقارنة ببقية مدن السويد، بعد ثلاث سنوات من انتهاء عملي كمرشدة صحية بدأ مشروع البحث العلمي هيرگوردن الذي يدور حول صحة الأطفال في المنطقة لفهم هذه الإصابات بشكل علمي طبي. وبدأت فكرة البحث بعد أن أصبحت أخبار البيئة المعيشية في المنطقة تملأ الصحف والتلفاز السويدي وخصوصاً من خلال برنامج "المهمة الصحفية" في: تقرير عن العوائل الساكنة في الشقق المتهاكلة في هيرگوردن التي تحتوي على صراصير زاحفة وغرف متعفنة.

بعد تسليط الضوء من الصحافة الذي أثار اهتمام الكثيرين من السياسيين والباحثين ودوائر الدولة، قرر باحثون من الأطباء في قسم العمل والبيئة في جامعة لوند المباشرة في البحث كجزء من اهتماماتهم وتخصصهم. واحتاج الباحثون خبيراً في الإرشاد الصحي له خبرة في التمريض وكذلك خبرة ثقافية في الهجرة وعن المنطقة وعوائلها. وهكذا بدأ التواصل بيننا. ابتدأت الرحلة. - وأصبح المشروع معروفاً تحت اسم "مشروع الهيرگوردن"، ولكن تم نشر التقرير باللغة الإنجليزية تحت عنوان "ظروف السكن السيئة المرتبطة بصحة الطفل لدى السكان المهاجرين: دراسة في روزگورد، مالمو، السويد" (Oudin m.fl., 2016).

وفي المقال المذكور الذي لا أود الخوض في شرحه حالياً هنا وهو التقرير الطبي الأول لنا. والجدير بالذكر هو أن نتيجة البحث كانت مطابقة علمياً لما كنا نتوقع إيجاده (أذكر علمياً، كون فكرة الربط بين بيئة السكن والاكتظاظ السكاني وصحة العائلة معروفة اجتماعياً ولكن الأبحاث تعتمد الحيادية في العلم والنتيجة بغض النظر عن التوقعات). وبالرغم من ذلك لم يكن من السهل إثبات التحسن في صحة الأطفال بعد تجديد وترميم المنزل. وهذا بسبب قصر الفترة الزمنية ما بين ما بعد التصليحات والإطار الزمني للبحث هذا. وكان السبب الآخر المهم هو ترميم جزء من الدار مثل المطبخ هنا والحمام هناك بشكل طارئ لمعالجة المشكلة. وباعتقادنا ان كانت التصليحات شاملة وواسعة وفي وقت محدد لكان من الممكن إثبات النتيجة بطريقة أفضل وأوضح

منطقة هيرگوردن، القضية وخلفيتها

للتمكن من فهم حالة منطقة الهيرگوردن علينا أن نتعرف على المنطقة. تبلغ مساحة المنطقة كيلومتر مربع وهي جزءاً من منطقة روزنغورد التي تقع شرق مالمو (المصدر: بوبولا ص. ٥٠-٥١). يحدها من الشمال (كريدگوردن) و من الجنوب تحدها منطقة الفيلا معروفة باسم "بروزنگود القديمة". وجميع هذه المناطق هي جزء من حي روزنغورد (وتعني كلمة روزنغورد بالعربية: حديقة الجوري) تعد منطقة هيرگوردن من المناطق الخضراء، فيها الكثير من الحدائق الصغيرة. وأكبرها مايسمى بحديقة الصداقة التي تتوسط المنطقة. ويوجد في المنطقة أيضاً مركز محلي تستخدمه جهات ناشطة لديها مختلف المشاريع والفعاليات المرتبطة بالمنطقة. يحظى المركز بشعبية كبيرة لدى الأطفال بسبب الأنشطة الممتعة التي تقام فيه وخصوصاً في فصل الصيف حيث يقدم المركز نشاط "أفضل صيف". يتاح للأطفال فيه اللعب والتعلم في شكل فن رسم وموسيقى ومهرجانات صغيرة أيضاً. وتصبح الأنشطة بمثابة نوع من "التعويض" للأطفال الذين لا يستطيع أبائهم تحمل تكاليف السفر في العطل الصيفية كما معتاد عليه أغلبية أطفال الأسر السويدية.

الشقق الموجودة في المنطقة معروفة بأسم شقق "المليون منزل". هذه الشقق كانت مشروع استثمار سويدي للبناء في عام ١٩٦٩ لحل أزمة السكن الصحي (فورماس ٢٠١٢). اعتبرت شقق برنامج المليون جديدة وحديثة في وقتها وتحتوي على حمام داخل البيت (الحمامات في السويد كانت معظم الأحيان خارج البيت ومشاركة). وتم التخطيط لها كعائلة سويدية متوسطة الحجم فيها غرفة للوالدين وغرفة للذكور وغرفة للإناث. بالتأكيد تغيرت تركيبة وخصوصية العائلة بعد مرور أربعين عاماً. ومع هذا التغيير تغيرت أيضاً أساليب رعاية المنازل والإشراف عليها. كان التخطيط لمسكن منطقة هيرگوردن عدد سكان ما يقارب ٢٨٠٠ ساكن كحد أقصى. وبالطبع تم تجاوز هذا العدد في بداية التسعينيات بفارق زيادة ١٢١٦ شخصاً (بوبولا ١٩٩٨ ص ٤٩). لتكون هذه الزيادة عام ٤٠٠٠-٥٠٠٠ شخص عام ١٠١٢ (البيان ٢٠١٢).

، ومن المعروف في السويد ان صيانه الشقق السكنية تعود للمالك او شركة السكن. وفي (الهيرگوردن تعدد شركات السكن على مر السنين لتصبح شركة (نيوزك الأكثر شهرة بسبب فضيحة البرنامج الصحفي والتقارير الكثيرة عنها و عن سوء إشرافها على السكن ومعاملتها مع المستأجرين. فسجل عام ٢٠٠٨ تقرير عن ٨٠٠ شقة متعفن و دون تهوية وغير صالحة للسكن. كانت هذه الشركة جزء من شركة سكن اكبر اسمها Acta أكتا وتمتلك من شركة اخرى نرويجية اسمها Grönings AB Bostads. ووفقا لمصادر الطب المهني والبيئي، فإن المباني الأخرى في المنطقة في الهيرگوردن كانت تعاني ما اشبه ما عاناه سكان نيوزك ولكن اقل بكثير وعلى حيز جغرافي اصغر. عندما لوحظت فضيحة نيوزك Newsec في وسائل الإعلام ولفتت انتباه مؤسسة إدارة البيئة، أدى ذلك إلى فرض غرامات مالية وعقوبات ومطالبات بتجديد وترميم طارئ للسكن وخصوصاً الحمامات والمراحيض وأجزاء من المطابخ التي اصابها التعفن في سقف الدار والأرضية.

وأثناء استمرار أعمال الترميم، اضطرت العوائل إلى استخدام "حمامات" مؤقتة على شكل عربات في خارج العمارة السكنية أو في أقرب مكان ممكن. وامتد هذا الوضع أيضاً خلال فصل الشتاء الثلجي مما سبب في كثرة نوبات الربو عند الأطفال. قامت الشركة ببيع العمارات السكنية في منطقة الهيرگوردن عام ٢٠١٢ إلى شركة اخرى تسمى فيكتوريا بارك. من أجل تفهم أعمق إلى منطقة هيرگوردن نحتاج إلى معرفة تشكيلة العوائل الساكنه فيها. تعد العوائل متعبة اقتصادياً واجتماعياً

في السويد. ويسكنها الكثير من لهم أصول غير سويدية (المصدر يوليو ١٩٨٩). وكانت هذه الصفات من منظور التمييز سبب استغله الكثيرون لرمي اللوم على العائلة دون مراقبة شركة السكن.

ففي عام ٢٠١٨ كان ٢٤٥١ من أصل ٤٣٤٧ من سكان هيرغوردن ولدوا في خارج السويد. بدأ تزايد للعوائل المهاجرة في هيرغوردن ملحوظاً خلال نهاية الثمانينيات وبداية التسعينات عندما انتقلت العوائل المهاجرة ذات الأصول العربية إلى السويد ودفعت الناس إلى استئجار بيوتها. لكن المنطقة كانت تعاني بالفعل من وصمة غير لائقة والضعف الاجتماعي من قبل هذا حيث دفع المهاجرون من ذوي الأصول العجورية من غير بلدان الشمال الأوروبي لسكانها (المصدر السويدي، بوبولا "اللعبية الاجتماعية حول رومانو بلاتسو" ص 9). وبهذا كان للتمييز أسس يبني عليه. ومع مرور الزمن وتغير المجاميع المهاجرة رغم اختلافها وتعددتها لتصبح المنطقة هي الصفة لسكانها وليس العكس. وهذا نفسه نراه في كل الدول وكل الأحياء. ويعود إلى ربط المكان ووصفه وتأثير هذا الوصف على سكانه. تعتبر منطقة روزنغورد، واحدة من أكثر المناطق تضرراً اجتماعياً واقتصادياً في السويد وتبرز من حيث الحالة المادية والفقير (الفقر مقارنة بباقي السويد). ويُقدر أن حي هيرغوردن هو الأكثر فقراً في روزنغورد حيث معدلات البطالة وتدني مستوى التعليم بين سكان المنطقة (تقرير انقذوا الأطفال لعام ٢٠١٨-٢٠٢٠) (المصدر: أودين مع اخرون ٢٠١٦). علاوة على ذلك، كان الاكتظاظ السكاني ولا يزال مثل مشكلة كبيرة في المنطقة.

البحث

أدت فضيحة مساكن هيرغوردن إلى إجراء البحث العلمي الذي أجراها الطب المهني والبيئي قسم جامعه لوند الطبي. وكان هدفه معرفة صحة الأطفال في المساكن الغير الصحية وايضاً معرفت ما إذا كانت صحة الأطفال تتحسن بعد الترميم ومعالجة الرطوبة والعفن وابادة الحشرات والصراصير بشكل كامل. وكما ذكرت سابقاً كان إسم البحث معروف بأسم المنطقة. كانت العينة في البحث هي عوائل منطقة هيرغوردن من الذين لديهم أطفال تتراوح أعمارهم بين يوم و ثلاثة عشر عامًا. وخصوصاً الأطفال من عام إلى ثلاثة عشر من الذين كانوا يعانون من الربو أو المشاكل التنفسية الأخرى. وبسبب ماتفرضه البحوث العلمية من شروط اخترنا عوائل أطفال منطقة اخرى في روزنغورد لاثبات المقارنة الطبية. فكان الخيار منطقة تورنروزن. وكانت تورنروزن منطقة لديها سمات خاصة مقارنة في نوع تعددية السكان ولكنها لا تعاني من نفس أزمة السكن الغير صحي كون شركة السكن ملك للبلدية وليست شركة خاصة. وشاركت في الدراسة ١٣٣ أسرة. تم التواصل مع العوائل عبر جهات اتصال المراكز الصحية التي تتمتع بعلاقات قوية بالمنطقة وخبرة طويلة في العمل الصحي في روزنغورد. وكذلك عبر المدارس والاتصال المباشر مع السكان. قمنا بجمع الاستبيانات من خلال الزيارات المنزلية التي قام بها المرشدون الصحيون وممرضوا البيئة، وكان أغلبية الطاقم الصحي للبحث يجيدون احدى لغات الأم للعائلة أو اكثر (العربية والبوسنية، أو لغات أخرى من البلقان) إضافة إلى مساعدة في اللغة الصومالية.

. في منطقة هيرغوردن، كان التواصل في الغالب وما يقارب ٨٠٪ باللغة العربية (العراق، فلسطين، لبنان) اللغات الأخرى كانت تمثل الجزء الأخر بالمنطقة. وتعد اللغة العربية أكبر لغة متداولة في منطقة روزنغورد. تم ملء الاستبيانات الطبية

الخاصة بعد مقابلة مع احدى ذوي الطفل. كما قمنا بفحص الشقوق وجمع عينات الغبار لارسالها للفحص في مختبر يقع في مدينة شمال السويد. قمنا بدعوة العوائل المشاركة إلى لقاءات جماعية تُعرف باسم "أيام فحص التنفس". خلال هذه اللقاءات ، أتاحت الفرصة للعوائل لاختبارات الحساسية وقياس قوة جهاز التنفس و أيضاً بمقابلة طبيب في الموقع للحصول على تشخيص وأحياناً الإحالة إلى الرعاية الصحية المختصة. ونظراً للوضع السكني، كانت النصائح الصحية في المنزل وخلال أيام قياس التنفس تدور حول المشاكل الجلدية ومشاكل النوم والأمراض النفسية والقلق عند الأطفال والمراهقين. وبعض الأحيان تدور الأسئلة أثناء الزيارات المنزلية حول أشياء أخرى اجتماعية كعدم إيجاد السكن وتربية الأطفال في المجتمع الجديد والاتصال بالسلطات، وحتى كيفية دفع الفواتير. كان هناك اهتمام كبير بالمجتمع السويدي والمعرفة عنه. ويُقصد بكلمة "السويدي" هم السويدي العرق أو أحياناً الأوروبي الأبيض الذي يعيش "سويدياً". ومن الجدير بالذكر كانت هذه الاسئلة هي نفس الأسئلة التي يتساءل عنها المجتمع السويدي حول هيرگوردن والمناطق المماثلة. فالفضول إلى التعرف إلى الآخر موجود ولكن نتيجة المجتمع بأخلافه وسياسية البلد أو البلدية تفصل الناس عن بعضها بطبيعة حالها.

كيف يمكننا أن نفهم موضوع هيرگوردن؟

نظريات ملخصة: "حسب مفهومي ودراستي، يمكن فهم موضوع هيرگوردن من نظرية التفاعل بين نظام السلطة والآخر" إضافة إلى نظرية "ما بعد الاستعمار" من وجهة النظرية النسوية في هذه المجال. لقد أخذ هذا الاختيار مني لهذه النظريات المعروفة والتي تعد عموداً في العلوم السياسية سنوات عديدة . ويمكن من المؤكد النظر إلى الموضوع من منظور نظريات أخرى لتحليل أخرى. لكن طبيعة البحث الأساسي وفرت فرص جيدة لاختياري هذا في التحليل. "الغير طبيعي أو التهجين و التطبيع" يمكن فهم نظرية "الآخر الغير الطبيعي" للعالم الفرنسي ميشيل فوكو في كتابه "الغير طبيعي" : محاضرات في جامعة دو فرانس، 1974- 1975 كيف يصبح الشخص "غير طبيعي" في المجتمع المعياري. و الذي تعتمد نظريته الأساسية على تحليله للسجن وإعادة تأهيل السجناء الذين يشار إليهم على أنهم "غير طبيعيين" إلى المجتمع بطريقة التهجين. الطبيعي هنا هو المجتمع العام من منظور المجتمع نفسه وكل من خرج عن هذا المعيار يحسب خارج عن القاعدة الطبيعية. يسلط فوكو الضوء على أن السجن كمنظمة خاصة في حد ذاتها. و يصف ما يدور في داخل من السجن تطورات واحداث "بالمقاومة" لسجناء لسلطة السجانين. ما يشير له فوكو أيضاً في عمليه مراقبة المؤسسة لعملية التطبيع ومراقبة الآخر الذي يعد بعين المجتمع "غير الطبيعي" نراها في كل مكان و دون تصريح واضح عنها. فالأغلبية في المجتمع هو من يحدد مفهوم ما يعد طبيعي لهذا المجتمع. وتدار مؤسسات الدولة على ما يتناسب مع مفهوم هذا المجتمع.

من منطلق هذه النظرية يمكنني وصف سكان هيرگوردن بأنهم "الآخر" الغير معتمد عليه. وسبب هذا الاختلاف التحديد يكمن في اختلاف سكان المنطقة العرقي والثقافي مقارنة بالمواطن الأوربي أو السويدي الأصل. ولذلك يصبح هذا المواطن هو "الآخر" بطبيعة الحال دون الفصح المباشر عنه. وبهذا يتوجب التعامل مع هذا الفرد او هذه المجموعه بطريقة اخرى من أجل التهجين في ما يعده المجتمع هو الطبيعي من وجهة نظر هذا المجتمع . اود هنا أيضاً ربط هذا الاختلاف إلى نظرية العالم إبيرفنج غوفمان في "الوصمة" • فإن وصمة " العار" او وصمة الإشارة. التي يحملها شخص ما او مجموعه

معينة يمكن أن تعبر عن نفسها بطرق مختلفة. ومن اهم ما اود التطرق اليه هنا من "الوصمات" ما يسميه إيرفينغ غوفمان وصمة "القبلي" • و هي افضل طريقة لوصف نظرة المجتمع الغربي للمواطن من أصول شرقية. وهذه "الوصمة" يتوارثها الاجيال كأنتماء عرقي أو ثقافي أو ديني (غوفمان طبعة ٢٠١٤). من خلال هذه الخلفية الموجزة عن " الآخر الموصوم" الغير طبيعي والمورث عن تراثه العرقي والثقافي في الشرق، يمكننا أن نفهم كيف أصبحت منطقة هيرگوردن الى وصمة خاصة في المجتمع "السويدي".

استاذة العلوم والنظرية النسوية في ما بعد الاستعمار، موهانتي في كتابها "نسوية بلا حدود (طبعة ٢٠٠٧) تشرح لنا عملية "الصنع". تشرح كيف يتم صنع جنس معين لجسد معين وكيف يتم صنعه ليكون غريباً. تصف موهانتي صنع الإنسان كمهاجر بما يتماشى مع نظرية سيمون دي بوفوار للجنس "أن الشخص لا يولد امرأة، بل يصبح امرأة" (المرجع، ص 009-014). من هذا المنطق يمكننا فهم، أولاً، المواطن هو المواطن. لا تقييم للشخص كمواطن. ولكن، شخص الجسد (اي المواطن) أضافه إلى الخلفية الغير الأوروبية الذي نتقل إلى مكان "أبيض" آخر (اي مكان أوربي) يصبح بطريقة غير مرئية إلى شخصية المهاجر ذو لون و ملامح اخرى مبنية على مفهوم ومعايير المجتمع او المكان الذي انتقل اليه. يمكن فهم عملية "الصنع" هذه ايضاً من خلال مفهوم العالمية سارة أحمد (هيمنة العالم الأبيض، طبعه ٢٠١١) من خلال ما تسميه سارة أحمد "التجسيد". تسلط العالمية الضوء أيضاً على كيفية ربط هوية الشخص إلى الجسد الغير ابيض (اي الجسد ذو أصول غير أوربية)، وكيف يحدد هذا الجسد ما يناسب هيمنة المجتمع الأبيض وفقاً لبنية السلطة المرئية (مثلاً سيطرات الشرطة والحدود حيث يوقف كل جسد غير تابع للمجتمع الأصلي) وغير المرئية (في معاملة المؤسسات وفي سوق العمل عند طلب مهنة الخ). تربط أحمد ما بين نقطة تقاطع المكان والزما الذي يتواجد الجسد فيه، وهذه نقطة التقاطع هي التي تتحكم ما تسمية "سماح او عدم سماح مروره". وكيف ان "مرور" هذا الجسد الذي يعتبره المجتمع الجديد ما ليس طبيعي عليه ملحوظ جداً •

في القسم القادم اقدم لكم بعض نبذات من اللقاءات التي عملتها في هذا البحث لفهم ما حصل في هيرگوردن ثم ربطها لفهمها بالنظريات العلمية المذكورة.

حديث من لقاءات بحثي الجامعي للتعلم وفهم النظريات

اللقاء مع أنا.

تخبرني أنا: "عندما تصل بعض الناس إلى منطقة هيرگوردن لأول مرة، على سبيل المثال، تتبهر! يبدو مختلفاً لها. يبدو الأمر وكأنك سافرت إلى بلد آخر. لقد كانت منطقة غريبة بعض الشيء... يجعلهم هذا يتساءلون: كيف كانوا يعيشون في بلدانهم الأصلية... وبعد ذلك سيكون على ما أعتقد.. (تصمت أنا).. تكمل: أشعر بأنني فيمنطقتي في روزنگورد، لكن بالنسبة لشخص آخر، يصبح الأمر غريباً ومن تمتختلف المعاملة". (أنا نيرجيليوس أكتوبر ٢٠١٩) السيدة أنا نيرجيليوس تعمل في احدى مجالات الصحة في المنطقة لأكثر من ١٠ سنوات. كانت أنا على اتصال مستمر مع العوائل في هيرگوردن وقامت بعدة زيارات منزلية للعديد من منهم. لقد شهدت البؤس الذي عانت منه هذه العوائل عنقرب وكانت الجسر الممتد بين العوائل وبين الرعاية الصحية والمنظمات الأخرى. كان لدى العوائل في جميع أنحاء روزنگورد ثقة كبيرة في أنا. في اختصاصها. تخبرني أنا: "لقد شهدت الكثير على مر السنين وعلمت العديد من الزملاء الجدد مايجب التقاطه في تقرير

البيئة الداخلية أثناء زيارة منزلية. تستمر أنا مشاطرتي همومها وشعورها بالقلق من ارتباك الزملاء الجدد وتفسيرهم لحياة الناس بعد الزيارات المنزلية. نتحدث أنا عن انشغال الزملاء برؤية الأمور بشكل مختلف، مما يجعلهم يتناسون البحث عن الأسباب الأساسية وراء الزيارة المنزلية والتقارير الصحي عن السكن لمساعدة العائلة التي توجهت إلى أنا للمساعدة.

"الستائر المسدلة والسجاد الكبير والمراتب ذات الأكوام العالية والعديد من التفاصيل الصغيرة الأخرى في المنزل تجذب أعين الزميل الموظف الجديد وتجعله ينسى التحقق من العوامل الكامنة وراء تدهور الشقة ومستوى المعيشة. منزل مختلف في وسط مدينة مالمو السويدية في جنوب السويد مع طاولة مطبخ من ايكيا - يؤدي إلى الغرابة مما يؤدي إلى عدم المساواة في المعاملة ويشكل خطراً أعلى صحة الناس." هذا الإسراع بالحكم وعدم المعرفة وفهم المواضيع من هيمنة العالم الأبيض هي التي تسبب التمييز. الزميل الجديد لا يلاحظ هذه الأشياء في البيوت المعتاد على زيارتها في المجتمع الذي هو معتاد عليه و جزء منه. لذلك يركز في مساعدة العائلة كما يستوجب."

أما مرعب او غريب

تتماشى صورة هيرگوردن عن المجتمع السويدي مع روزنغورد كمنطقة تعد "مرعبة". تشاركنا أنا نيرجيليوس إحدى ذكرياتها التي أثارت اهتمامي. ذكر مشاركتها عدة مرات وتواجه صعوبة في نسيانها. لا تزال أنا مندهشة من كيفية ممارسة السلطة لطرق مختلفة لموضوع متشابه ولكن نتيجته معاملته تختلف حسب الحي حتى في داخل نفس مدينة مالمو. نتحدث أنا عن عائلة لصبي في سن المراهقة كانوا على اتصال بها كطالبي رعاية صحية وتعرفت عليهم عن كثب علمر السنين. كان لدى الوالدين في الأسرة صعوبات في إتقان اللغة السويدية ويفتقرون إلى المعرفة العامة بالمجتمع السويدي. ولذلك يقع عباً مسؤولية التواصل على عاتق الابن الأكبر (الصبي المراهق). ويوصف الابن بأنه شاب لطيف ومساعد لوالديه. تقول أنا: "لقد ألفت الشرطة القبض على الصبي عندما أبلغ عنه موظفو شركة السكن عندما تواصلت معهم العائلة لتصليح البيت. فقام اصحاب الشركة بالاتصال الفوري بالشرطة واتهامه الكاذب بالتهديد والعنف. وسارعت الشرطة في احتجازه بسرعه ودون اي محظر لفهم الموضوع. اتصلت بي الأم مباشرة تبكي وتستعيني أنا ساعدهم" تعتقد أنا أن احتجاز الصبي لدى الشرطة لم يكن له داعي أبداً. تعتقد أنها كانت تعرف العائلة ويمكنها أن تفهم أن ما ذكره موظفو شركة نيوزك للسكن لا يتفق مع الصورة التي لديها عن العائلة والصبي. لكن أنا تعتقد أن هذا لم يكن تعاملاً غير عادي من قبل موظفي شركة السكن، فكان هذا تعاملهم عندما أرادوا تخويف العوائل التي قدمت لهم شكاوي عن حال بيئة المنزل الغير صحية وإصابتهم بالأمراض.

تشير نظرية ميشيل فوكو للتطبيع في كتابه "المراقبة والعقاب- ولادة السجن" الى ان المجتمع المعياري يفشل بسبب التمييز الهيكلية (هيكل المؤسسات). فإن عملية تطبيع او تهجين الغير طبيعي (او السجن بصورة خاصة في هذه النظرية) وتمكينه مرة اخرى من المجتمع المهيم تتحول إلى تطبيع قسري داخل حدود "السجن". وان التطبيع القسري يؤدي أيضاً إلى ظهور مقاومة معينة ضد السلطة الحاكمة (او ضد السجناء داخل السجن في النظرية). من تحليل لهذه النظرية وتطبيقها على عالم الاجتماع السياسي يمكننا فهم قوة التطبيع لمن يعد غير طبيعي. استخدمت هذه النظرية في عدة مجالات سابقة لتحليل المجتمع. وهنا يقارن السجن بالمجتمع والمؤسسات والسجناء للمواطنين ذو وصمة معينة تميزهم عن البقية. وهنا، في هذا البحث وفي حيز الوضع السكني البائس الذي اجبرت عليه العوائل في هيرگوردن اساوي المنطقة بالتشابه مع

السجن لمن يعد من الغير طبيعياً مقارنة بمناطق السويد الأخرى، ليكون السجنان في النظرية هو المؤسسات والشركات التي تحرس وتدير هذا السجن المفتوح. ففي هذا السجن يجبر الناس على التعايش مع وضع ليس طبيعياً ومرفوض من قبل المجتمع المهيم. نفس الوضع باعتقادي يكون مرفوضاً في اغلب الدول الأخرى. وبهذا اجبروا سكان مهاجرين لمنطقة روزنغورد و هيرغوردن ليحملوا وصمة "الغير طبيعي" و "القبلي" وان كان اختلافهم عرقي، ديني، اجتماعي وتعليمي فيما بينهم. فالطبع يختلف المهاجرون عن بعض وان كانوا يحملون نفس جنسية البلد الذي هاجرو منه. وبالتأكيد يختلف العرب عن بعضهم البعض رغم ما يربطهم من صفات.

أما بعد و كما شرح ميشيل فوكو ان المقاومة توجد حتى في اشد الأحوال و تعجرف السلطات. هذه المقاومة أظهرت نفسها من خلال العزم والإلحاح الذي دفع الأهالي للتواصل مع الصحافة وغيرهم لإنقاذ أطفالهم من الحالة المعيشية المزرية. من جهة أخرى اود الإشارة إلى ان ما حصل في منطقة هيرغوردن بالرغم من عدم تفاعل الموظفين كما كان يود وعدم إنذار السلطات العليا عن الأوضاع المزرية في المنطقة فلا ينبغي النظر إلى هذا الوضع على أنه مسؤولية الموظفين كفراد فقط. وهنا أشير ان ما اعنيه لا يعني إعفاءهم من المسؤولية. ولكن أشير إلى أهمية دور المؤسسات والسلطات. فهم المسؤول الحقيقي والأكبر والمطالب بالخدمات للمواطنين والمجتمع. فالسيدة أنا نيرجيليوس، بالإضافة إلى العديد من الأشخاص الآخرين الذين يعملون في المنطقة يكافحون يومياً وبشكل جدي ومنتظم وبكل شغف، شفافية واحترام لمساعدة الجميع وبناء مجتمع أكثر عدالة. لكنهم الأقليات في مؤسساتهم وكان الاستماع لهم محدود. غير هذا تطلبت الوظيفة منهم اداء مهماتهم دون تساؤلات كثيرة. وفي نفس الوقت اغرقوا هؤلاء الموظفين في العمل حتى لم يكن لهم وقت باقي للاستفسار او التفكير سوى القيام بالمهام الوظيفية اليومية. ومن جهة اخرى لا يمكنني ان انفي ان بعض الحالات الصغيرة والتي لا يمكن تعميمها كانت تتماشى مع نظرة المجتمع عن المنطقة. وهذا ما أكده السكان أيضاً في المقابلات الخاصة بالبحث خلال الزيارات المنزلية. إضافة إلى ذلك ملاحظاتي الخاصة خلال البحث عن المنطقة خلال عامين في هيرغوردن. المهم هنا هو تسليط الضوء على صورة روزنغورد بشكل عام أو هيرغورد على وجه التحديد كصورة معقدة تتطلب تحقياً وتحليلاً عميقاً بالإضافة إلى عدم تعميماً لظواهر على سكان المنطقة اجمع. وكذلك ان هناك حاجة إلى تسليط الضوء على العوامل الأساسية التي لها تأثير مباشر و قوي على نمط الحياة. كما يتطلب الأمر أيضاً فهماً من مؤسسات الدولة لطبيعة الحياة - ل روزنغورد . خارج عن نطاق حكم العمل داخل جدران المؤسسات.

في نقاش عام ٢٠١٩ مع الباحثة الأستاذة مارغريتا بوبولا التي تعد من الباحثين الرئيسيين عن المنطقة خلال الثلاثين عاماً الماضية ، حدثتني عن "تطبيع" عوائل الهيرغوردن من حيث "قبول" المؤسسات. اشارت فيه إلى غياب وعي المؤسسات في المنطقة: "لا أحد يخرج ليرى ما يحدث، كما تقول مارغريتا. وترى أن غياب وعدم المتابعة يعود إلى شحة الموارد المالية للمؤسسات. تستمر بوبولا: "ليس لديهم الدعم المالي الكافي للمتابعة الحقيقية. حدث مثل هذا لا يحدث إلا إذا ما ذهبت الأمور إلى أبعد الحدود. إلى ان تجبر المؤسسات للتعامل مع اصلاح قسري... ماكان هذا حصل منه شيء ان كانت المؤسسات عملت كما مقترض ان تعمل.

التمييز الهيكلي و المؤسسات

الباحثة الاجتماعية دي لوس ريبس تشرح لنا في كتابها (طبعة ٢٠١٦) "السلطة والتكامل والتمييز الهيكلي للمؤسسات" أن التمييز الهيكلي يحدث إما نتيجة لتصرفات عرضية، قائمة على مفاهيم مسبقة عن الاختلاف العرقي/الثقافي، أو نتيجة لقواعد مبنية على نماذج معيارية يتم تطبيقها على الأفراد أو المجموعات التي تختلف احتياجاتها او/ظروفها. (المرجع نفسه ص 12) ترى الباحثة ان الشكل الأول يحاول الحفاظ على قوة التصنيفات العرقية. بينما يساهم الشكل الثاني في عدم المساواة بسبب تطبيق مبدأ المساواة على المجموعات التي لها ظروف مختلفة. يمكن أيضاً أن يُعرف التمييز الهيكلي بالتمييز المؤسسي أو يرتبط به (روث ص ٢٠٠٨). ولكن ما يختلف في الثاني المذكور هو أن التمييز المؤسسي يمكن أن يكون إشكالياً لأنه يمكن أن يضع المسؤولية على الأفراد بدلاً من الهياكل (المرجع نفسه). في هيرغوردن، يمكننا بسهولة تحديد موقع "الأخر" والنقاطه بشكل سهل. لكن في مشكلة التمييز الهيكلي يكون من الصعب إثباتها كونه لا يشكل أساساً واضحاً للتمييز. فهو ملموس لكنه ليس مرئياً. في القانون يعتمد نظام السويد في المؤسسات على مبدأ المساواة، وكلاهما يجعل من الصعب تحديد أو إثبات حدوث تمييز بالفعل (روث ٢٠٠٨). على الرغم من تصور ان المسؤولية منفصلة بين الفرد العامل داخل المؤسسة والمؤسسة نفسها كممثل للمجتمع، فإن مسألة رسم الخط الفاصل معقدة للغاية. المؤسسات هي ممثلي مجتمع الأغلبية. إنهم يحملون في داخلهم المعايير والمعتقدات "غير مرئية" عن المجتمع، والتي تعبر عن نفسها لاحقاً بطرق صامتة ومختلفة لتعكس في النهاية هيمنة المجتمع.

الخاتمة

لقد حاولت تجنب إعادة فكرة "وصمة العار" أو ما يسمى بوصمة "الغير طبيعي" في هذا البحث عن أهل سكان منطقة روزنغورد. فإعادة تكرار الكلمات مع الأسف يصب في صالح وصمات جديدة أخرى وان كان مطلوباً للحديث عنه. وعلى الرغم من نقدي وحذري فلربما وقعت في هذا الفخ بعض المرات حتى في حيايتي. لذلك من المهم بالنسبة لي اون أوصل لكم كقراء أن منطقة هيرغوردن أو سكان المنطقة ليست فئات سلبية في حد ذاتها، ولكن المعنى واحدى أهداف هذا البحث هو عملية "الإضافة" للوصف التي تقوم بتغيير المعايير بالنسبة للفرد او المجتمع وكذلك السلطات. الكلمات لها معنى اكبر من حروف صوتية تنطق. على الرغم من أنه لا يمكن تلخيص الأوصاف الإيجابية الأخرى للمنطقة بسبب الشروط المطلوبة لبحث جامعي علمي كهذا يستوجب التحديد أود أن أعتنم هذه الفرصة في هذه الخاتمة الأكثر متاحة للحرية للإضافة والتأكيد على أنهيرغوردن لديها الكثير ما تقدمه للمجتمع تماماً مثل المناطق الأخرى في المومو. بالإضافة إلى موقعها الجغرافي الجميل مع المساحات الخضراء الكبيرة التي ذكرتها سابقاً وقربها من وسط المدينة، يتمتع سكان هيرغوردن بتعددية وخبرات عالميه متعددة. على الرغم من الآثار السلبية العامة للفصل بين المناطق، فقد اتاحت المحلات التجارية وغيرها من الجمعيات العرقية/الدينية فيها فرص العمل على نطاق أصغر داخل حدود المنطقة نفسها. ومن الجدير بالذكر أيضاً تسليط الضوء على المجتمع والدعم الذي يظهره سكان هيرغوردن لبعضهم البعض، والذي كان هو الأساس لجمع قوات المستأجرين وتجراًوا على دق ناقوس الخطر عبر الاتصال الإعلامي وإجبار المجتمع على حلال أزمة له معنى كبير ومهم. لمنطقة روزنغورد جماليتها وسلبياتها تماماً مثل المناطق الأخرى في السويد. الفرق هو أن الصورة المعروفة

إعلامياً لـ روزنغورد في النقاش السياسي هي التي تحدد بطريقة محددة مسبقاً الفكرة عنها. وأعتقد ان أغلبية المهاجرين في مالمو يؤيدون هذا الكلام كون روزنغورد كانت يوماً ما اول بيت للأغلبية منا. انهي موضوعي بالإشارة إلى صعوبة ايجاد حل "واحد" في مثل هذه الحالة او ما شابهها. إن الوضع المعقد ويتطلب العديد من التداخلات، واليات العمل وفهماً اجتماعياً أعمق للفئات المختلفة في المجتمع نفسه. وقبل كل هذا إرادة حقيقة للتغيير والمساواة الفعلية من السلطات وسياسة شفافة واهداف مؤسسات واضحة تمكن اي مواطن ان يتتبعها.

لينا النهر 2023/12/23

ماجستير في العلوم السياسية العالمية والهجرة
بكلوريوس اختصاص تعددية المجتمع
دبلوم معهد عالي- الصحة و المجتمع

المصدر/لائحة الروابط

- Ahmed, Sara & De los Reyes, Paulina (2011). *Postkolonial feminism 1*. Stockholm: Tankekraft
- Goffman, Erving (2014). *Stigma: den avvikandes roll och identitet*. 4. uppl. Lund: Studentlitteratur
- Mohanty, Chandra Talpade (2007). *Feminism utan gränser: avkoloniserad teori, praktiserad solidaritet*. Hägersten: Tankekraft
- Popoola, Margareta (1998). *Det sociala spelet om Romano Platso*. Lund: Sociologiska institutionen, Univ.
- Albin, Jakobsson, Djurfeldt 2012. *Miljöns betydelse för sociala skillnader i hälsa*
https://malmo.se/download/18.6e1be7ef13514d6cfcc800071414/1491303278464/Miljöns%20betydelse%20för%20sociala%20skillnader%20i%20hälsa_Albin%20Jakobsson_Djurfeldt_korr.pdf
- Brunner, Andreas. 2009 Nytt asbestlarm på Herrgården. *Hem & Hyra*. 2 september
<https://www.hemhyra.se/nyheter/nytt-asbestlarm-pa-herrgarden/>
- Brunner, Andreas. 2009. Miljöförvaltningen vill göra egen granskning på Herrgården. *Hem & Hyra*. 18 maj
<https://www.hemhyra.se/nyheter/miljoforvaltningen-vill-gora-egen-granskning-pa-herrgarden/>
- Hem & Hyra. 2012. *Victoria Park köper skandalfastigheter på Herrgården*
<https://www.hemhyra.se/nyheter/victoria-park-koper-skandalfastigheter-pa-herrgarden/>
- Oudin m.fl., 2016. *Poor housing conditions in association with child health in a disadvantaged immigrant population: a cross-sectional study in Rosengård, Malmö, Sweden*
https://bmjopen.bmj.com/content/6/1/e007979?utm_source=trendmd&utm_medium=cpc&utm_campaign=jnis&trendmd-shared=1&utm_term=TrendMDPhase4&utm_content=Journalcontent
- Rädda Barnen. 2018. *Barnfattigdom i Sverige*
https://resourcecentre.savethechildren.net/node/14233/pdf/rb_rapport_2018_final.pdf
- Strandberg, Sofia. 2008. Ohyra och mögel i trångboddhetens. *Svenska Dagbladet*. 19 sep.
<https://www.svd.se/ohyra-och-mogel-i-trangboddhetens-malmo>
Hämtad 2020-05-02
- Strandberg, Sofia. 2011. Newsec lämnar Herrgården. *Sydsvenska*. 24 februari
<https://www.sydsvenskan.se/2011-02-24/newsec-lamnar-herrgarden?redirected=1>

SVT. 2008. *Acta är landets värsta hyresvärd*

<https://www.svt.se/nyheter/lokalt/skane/acta-ar-landets-varsta-hyresvard>

SVT. 2009. *Vite för ägare till skandalhus*

<https://www.svt.se/nyheter/lokalt/skane/malmo-vite-for-agare-till-skandalhus>

Westerberg, Olof. 2009 Herrgården möglar. *Sydsvenska*. 2 februari

<https://www.sydsvenskan.se/2009-02-20/herrgarden-moglar?redirected=1>

Lina Al-nahar